المحاضرة الثانية

عوامل نشأة النقد العربي الحديث

أسمهت مجموعة من العوامل في نشأة النقد العربي الحديث ولعلنا تحدثنا عن الحملة الفرنسية التي وإن كانت أهدافها سياسية واقتصادية استعمارية إلا أن المصريين بنخبهم استطاعوا أن يستثمروا الجانب الإيجابي منها؛ فقد استيقظوا على نظم سياسية على درجة من التنظيم وأوضاع اجتماعية جديدة وحقوق للإنسان لم يكن لهم بها عهد ومذاهب في الفكر وألوان من الأدب[1] كما أن اكتشافهم لفن الطباعة الوافد مع الحملة الفرنسية قد ساعد على بعث التراث العربي القديم إذ أمكن طبع كثير من أمهات كتب الأدب العربي القديمة، ودواوين الشعراء، ورسائل البلغاء، وكتب اللغة وعلومها[2] كما أن لعامل التعليم الدور المهم؛ فقد كان حكام مصر في القرن التاسع عشر يولون هذا الجانب أهمية، فنجد الملك إسماعيل ينشأ ديوانا ملكيا سماه "ديوان المدارس" يعمل فيه مصريون وأجانب للنهوض بالتعليم مما جعل نطاق التعليم يتسع وكثرت المدارس الابتدائية والثانوية بعد أن صار التعليم بالمجان، كذلك اتسع مجال التعليم العالي ما بين كليات ومعاهد للطب والهندسة والحقوق والتجارة واللغة والأدب والزراعة والفنون الجميلة والتمثيل والمسرح وغير ذلك[3] ويمكن أن نستشهد في هذا الأمر بمدرسة الألسن التي كان لها فضل في خدمة اللغة العربية وهي التي أنشأها محمد علي سنة1835م وكان غرض الحكومة من إنشائها أول الأمر أن تُكون من خريجيها قلما للترجمة يقوم على ترجمة الكتب اللازمة لمدارس الحكومة ومصالحها، ثم جعل الغرض منها تخريج المترجمين وإمداد المدارس الخصوصية الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية ، حتى إذا تخرجوا في هذه

---

[1] اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة: محمود تيمور، المطبعة النموذجية، ص6.

[2] النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 1997، ص5.

[3] ينظر: تاريخ الأدب العربي المعاصر: إبراهيم أبو الخشب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978،ص73

المدارس كانوا على معرفة باللغة التي يترجمون منها وبالعلم الذي يترجمون كتبه[4]. ثم نجد أيضا من آثار الحملة الفرنسية أيضا على مصر مسألة البعثات العلمية إلى أوروبا؛ ففي عهد محمد علي فكر في إرسال بعثات إلى أوروبا لتلقي الفنون العسكرية اول الأمر، ولكن هذا الاتجاه العسكري لم يدم طويلا إذ سرعان ما صاحبه اتجاه علمي محض ثم شملت الجانب الأدبي والفني في أواخر عهد إسماعيل، ولقد استفادت مصر من جهود المبعوثين عن طريق الترجمة أو التأليف أو التوجيه العلمي في نقل الثقافة الغربية والحضارية الأوروبية، ولعل أبرز جهود تمس الأدب العربي بخاصة في الطور الأول للنهضة هي تلك قام بها رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك[5].

وقد كان لانتشار التأليف والترجمة أثره في نشأة النقد؛ فالمؤلفون استفادوا من الطباعة والبعثات العلمية فطفقوا يؤلفون، كما فعل عبد الله فكري وأحمد فارس الشدياق في الساق على الساق وحفني ناصف في قواعد اللغة العربية، وإبراهيم اليازجي في لغة الجرائد، وحمزة فتح الله في المواهب الفتحية، والشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ومصطفى نجيب في حماة الإسلام، هذا إلى جانب المؤلفات الأدبية البحتة مثل صهاريج اللؤلؤ للبكري، وحديث عيسى بن هشام للمويلحي ومجمع البحرين لناصف اليازجي[6].

أما الصحافة فقد أسهمت بدورها في في بعث الحركة النقدية في مصر خاصة، وذلك بعد أن اتصل المصريون بفرنسا من خلال الحملة أو البعثات العلمية فأدركوا قيمة الصحافة وجللها فأسسوا أول جريدة باللغة العربية اسمها الوقائع[7] وكانت تصدر بالعربية والتركية في أول أمرها، وأهتم محمد علي باشا بها وأولاها عنايته التامة فحرص على صدورها بانتظام وتوزيعها ومن بين أبرز من تولى تحريرها رفاعة الطهطاوي، كما نجد صحيفة

[4] نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر: عز الدين الأمين، ص52.
[5] ينظر: المرجع نفسه، ص61،60.
[6] تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر: إبراهيم أبو الخشب، ص80.
[7] تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر: إبراهيم أبو الخشب، ص85.

أخرى هي روضة المدارس وهي ثقافية وأدبية أنشاها علي مبارك في سنة 1870 واتخذت شعارها هذين البيتين:

تعلـــــم العلـــــم واقـــــرأ تحـــــز فخـــــار النبـــــوة
فـــــالله قـــــال ليحـــــي "خـــــذ الكتـــــاب بقـــــوة"

وكان يشترك في تحريرها علي مبارك وحسين المرصفي وعبد الله فكري ثم أخذت الصحف في الزيادة والتطور في لغتها وأسلوبها فظهرت الصحف الشعبية الوطنية كجريدة وادي النيل التي صدرت سنة 1867م، ثم ظهرت صحف أخرى أسهمت بوضوح في تطوير الأساليب ومنها جريدة " مصر" التي أصدرها أديب إسحاق عام 1877م، وما كاد القرن التاسع عشر ينتهي حتى ساد الصحافة أسلوب صحفي كان في مقدمة من يمثله الشيخ علي يوسف ومصطفى كامل وأحمد لطفي السيد وكانت تمثله المؤيد والصحف التي عاصرتها كاللواء والجريدة[8].

وأخيرا لا بد أن نشير إلى مسألة المستشرقين وأثرهم في الحركة النقدية، وهي مسألة أثارت جدلا واسعا بين الدارسين، فثمة من يجزم بتسببهم في كثير من الأخطاء المقصودة في الأدب العربي وتاريخه ونقده، وثمة من يعتقد أنهم أضافوا إلى الأدب ونقده أشياء ذات قيمة؛ وقد عرفت مصر الاستشراق منذ حملة نابليون على مصر، وقد استدعت مصر بعضهم لتدريس اللغة العربية وآدابها وكان منهم المستشرق الإيطالي جويدي وكذلك مواطنه نلينو الذي كان يدعى منذ سنة 1909 لإلقاء المحاضرات ومارجليوث وغيرهم كثير، وقد تميزوا بالدقة والضبط والتحقيق ومراجعة الأصول المتعددة من المحفوظات، كما علقوا عليه بالشروح القيمة، وذيلوا كتبه بالفهارس، بيد أن بعض المستشرقين كانوا

[8] ينظر: نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر: عز الدين الأمين، ص 88 وما بعدها.

ذوي نوايا سيئة؛ فأرنست رينان اشتهر بمعاداته للدين ومنهم من يخطئ في اللغة العربية فلا يتمكن من كثير من المسائل.[9]

وخلاصة القول إن هذه العوامل مجتمعة كانت وراء إحياء النقد العربي القديم ووراء نهضة نقدية جديدة تزعمها مجموعة من النقاد، منهم من ينتمي إلى مدرسة إحيائية ومنهم من ينتمي إلى مدرسة تجديدية أخذت من منابع غربية مختلفة

[9] ينظر: نشأة النقد العربي الحديث: عز الدين الأمين،ص99 وما بعدها.